

ما يجب أن تعطيه

ما يجب أن تعطيه
إذا كنت تمارس السلطة هو العفو
إذا كنت غنياً فهو الكرم
إذا كنت عالماً فهو العمل
وتشجيع الحكمة إذا ملكت ناصية الكلام

الإمام علي

ما يجب أن تعطيه

عندما طلب مني الملك الزواج أحاطني علما بالمسؤوليات الضخمة التي تنتظرني . ولكنه لم يحدد لها ثل بدقة . كنت في الحادية والعشرين قليلة التجربة صغيرة السن . احتجت لعدة أعوام لمعرفة إيران والإسهام بدور فعال ونشط منذ البداية أصبحت أوتوماتيكيا رئيسة لعدة مؤسسات . كنت أقابل كل أنواع الناس . وأحدث في شتى الموضوعات وأحضر حفلات الافتتاح وأقوم بالزيارات الرسمية .

توقعت أن يقال لي : ما يجب أن أفعله لاعتقادي بأن هناك نظاماً متبعاً لكل شيء في القصر . ولم أتصور أنه سيكون على منذ اليوم الأول إصدار الأوامر بكل صغيرة وكبيرة . بل على العكس أحياناً كنت أقول : « يجب أن يكون هذا الأمر هكذا ، فريد بعض قائلاً : . لكن الوضع القديم كان هكذا ، فأقول حسناً ، مادام الأمر هكذا فلن أغیره . »

وكن مع استمرار العمل كل يوم والتجربة واللقاءات المباشرة بالقيادات المختلفة . وقبل كل ذلك معاونة زوجي الصادقة - بدأت أمسك بزمام الأمور والمبادرة بإصدار القرارات السريعة والفعالة . وبمرور الوقت منحني الملك بعضاً من مسؤولياته ومزيداً من السلطة .

وقبل حفلات التتويج مباشرة قدم لي الدليل الحى على ثقته الكبيرة فيّ : فقد نصبني وصية على العرش إذ - لا قدر الله - توفي قبل بلوغ ولى العهد سن الرشد . ولهذا جمع منذ عدة سنوات كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين لبعرض

عليهم وصيته السياسية . وما ينتظره منهم في حالة وفاته . ولو أنني واثقة بأن غيابه سيعقد الأمور كثيراً ، فأيران دولة لا يمكن تجاهل مكانتها على خريطة العالم . وإذا لم يكن هو موجوداً ليدافع عن مصالحها فسوف تحاول كثير من الدول الأجنبية استغلال الفرصة لبسط نفوذها . وهذا ما كان يحدث إبان حكم الكاجار فوقتها لم يكن الملك ليستطيع إصدار أى قرار بدون استشارة سفيرى بريطانيا وروسيا . ثم جاء آل بهلوى فوضعوا حداً لهذه التبعية . ولم ينس من هم خارج إيران حتى اليوم ومازالتوا يتربصون - في حالة حدوث أى خلل سياسى - بحفظ جاهزة لتنفيذ . وفى الدخول من يدري بمضامع السلطة التى قد تظهر ؟

إن القلق من هذه الأخطار المتوقعة هو الذى دعا زوجى لأن يقرر تحديد خلف مسبق له . وحينما فكر فى أن يبعد رضا عن كل هذه العصابات والشلل أى أن الشخص الوحيد الأكثر قرباً والأقدر على العمل لمصلحته لن يكون سوى أمه . ورأى أن وجودى بجانبه ومشاركته فى أعماله سيجعبنى أفضل من يفهم فلسفته ويعمل على استمرارها . وأخيراً هو يعلن أهمية مشاركة الشعب المتزايدة فى سياسة الاستقلال والتقدم لأنها ستكون أكبر سند لى حتى لو ظل هناك بعض الرجعيين الذين مازالوا يقفون ضد مشاركة المرأة فى الحكم . وأعتقد أنني أعطيته الدليل على إخلاصى وثقائى طوال ثمانية عشر عاماً . فإذا حدث أن وقعت المأساة لأقدر الله - فسأهب نفسى كلية للمحافظة على مكتسبات ثورة الشاه والشعب والدفاع عنها حتى آخر قطرة من دمي . وقد وضع الملك كل الخطوط والضوابط التى تستطيع إيران من خلالها التقدم بدون الاعتماد عليه ، وأنا أدعو الله بكل قواى ألا أعيش مثل هذه الظروف فأنا سعيدة بمكانى كما أنا ، وبمسؤولياتى التى لا تجلب للناس إلا السعادة والرضا ، وبرغم

أهميتها فهي لاتقارن بضخامة وخطورة مسئوليات الملك الذى يضطر أحيانا لإصدار قرارات ينتج عنها التذمر والضيق . فعند اقتسام التبعة نلت أنا الجانب الأفضل .

وقد اتسعت دائرة نشاطى فى الأعوام الأخيرة اتساعاً هائلاً ، فأنأ أتلقى ٦٠ ألف خطاب فى العام ، ومكتبى الخاص يضم ١٥٠ موظفاً - كل يعرف عمله ويعرف ما سأفعله والأوامر التى سأصدرها ، والردود التى سأبعث بها لهذه الحالة أو تلك ، فيستحيل أن أطلع على كل الخطابات . لهذا يطلعنى مدير مكتبى على الخطابات الاستثنائية التى تتطلب رأى . أو أكثرها أهمية . مثل الحالات الشخصية الهامة والعلاقات بين المؤسسات التى أراسها والمؤسسات العالمية أو المحلية التى تتصل بها . والمشروعات الحالية . والخطابات الخارجية وأحتفظ بما يستدعى مزيداً من الاهتمام . ثم أملى عليه إجاباتى أو ملاحظاتى وأشرح له الأفضليات .

ومرسلو الخطابات فئات متنوعة مثل طلب إعانات دراسية ، أو مرضى يريدون العلاج فى الخارج أو متعطلين يبحثون عن عمل أو شباب يريد التخلص من التجنيد ، أو منازعات بين جيران وأقارب ، أو شكاوى من رؤساء البلديات وخاصة من لهم متاعب مع الحكومة أو وقعوا تحت ظلم معين أو تعضيد لطلب سلفة أو طلب نقل مكان العمل . أو طلب مسكن ويعلم الله وحده عدد من يحتاجون لمسكن . وأنا من جهى أحاول مساعدة كل منهم بأية وسيلة . ولكنى لا أستطيع إيجاد مسكن لكل إنسان .

كذلك يطلب الكثيرون نقوداً . ولكنى أرفض هذا المبدأ بصفة عامة حتى لانشجع على الاستجداء والتسول . ولكننا لانترك أية رسالة بدون رد ، وفى مقابل ذلك نحاول إيجاد عمل للزوج أو الأولاد .

تصلني كل أنواع الرسائل : فمن رسائل من بسطاء يطلبون أشياء متواضعة إلى أكثر المشاكل تعقيداً . بعضهم يتوجهون إلى بعد أن تنفذ وسائلهم . وبعضهم لم يكلف نفسه حتى محاولة البحث عن حل قبل أن يلجأ إلى . وطبعي أننا لانستطيع حل مشاكل كل الناس ، ولكننا موجودون لخدمتهم ويجب أن نثبت لهم أننا نهم بكل ما يعدونه هاماً وأن النشغل الأساسي للمسؤولين هو دراسة كل ما يقدم إليهم بأمانة .

فواجبنا أيضاً وضع أنفسنا مكان الآخرين بقدر المستطاع فما قد يبدو لنا قليل الأهمية قد يتوقف عليه مصير عائلة بأكملها .

وأعتقد أن في المستقبل إذا أُجيد تطبيق الإصلاحات الإدارية فإن غالبية المشاكل والتساؤلات التي ترسل لنا سوف تحل على مستوى القرية أو المندبنة أو المقاطعة بحيث لاتصل كلها إلينا .

فأحياناً ولبعد المسافة نحتاج لمزيد من الوقت من أجل التفصلي وإيجاد حل ملموس ، وهو ما لا يقدره بعض ، فما إن يبعثوا إلينا حتى يسألوا بعد يومين عما تم إنجازه مطالبين بالرد الفوري كأنما ليس لدينا سوى مشكلتهم !

وهناك الإدارة الإمبراطورية للرقابة التي يستطيع أى شخص التوجه إليها إذا ما قابل صعباً ، وهي تبدأ في البحث الفوري وأحياناً تعرض الحالة على الملك إذا اقتضى الأمر . وهي تشبه ما كان يعرف قديماً باسم « عيون وآذان الملك » وبها موظفون على أعلى مستوى من الأمانة والثقة ، ونحن دائمو الاتصال بها .

وإذا ما وجدت أن مشكلة تتصّب مزيداً من البحث والتفصلي الدقيق حولت الرسالة إلى تلك الإدارة - فأحياناً يبلغ بعض في وصف مأسية وبعض آخر لا يجيد عرضها ، مما يستوجب مزيداً من البحث حتى لو وصلتنا آلاف الرسائل .

قبل فـض رسـالة اعتـدت أن أقول : « ربي اجعلها حالة أستطيع لها شيئاً » .
وكم تبغ سعادتى حين أقدم عوناً . بـدائها حين بالغ إن لم أوفق . فـلى
داخلى ميل شديد لخدمة الآخرين ولخدمة المنكوبين .

أحياناً تصالى مشاكلى فى جوهرها مأسى حقيقىة يصعب احتواء . فـيدفعنى
الشعور بالمسئولية للانطلاق بكل طاقة حتى أتمكن من حلها وإلا جافانى النوم .
وإذا كنت أكرس ثمانى ساعات كل يوم وأحياناً أكثر لعملى فليس من أجل
فـض الـبريد فقط . وأن شخصياً لا ترضينى الرئاسة الشرفية للعديد من الجمعيات
والمؤسسات والمنظمات والمجالس العليا . فما يرضينى فعلاً هو القيم بدور نشيط
وفعال فيها .

ولقد أنشأنا عدداً من اللجان العليا تنظم الأنشطة إلى قطاعين : القطاع
الشعبى والقطاع الخاص حتى نضمن حسن استخدام الميزانية الممنقة والموظفين
التابعين على الوجه الأكمل على مستوى كل إيران تبعاً لـ خطة التنمية المدروسة
والمطبقة . فمثلاً يجب تجنب وجود مؤسستين تؤديان الخدمة نفسها لمنطقة
نفسها .

فـاللجنة العليا للتنعيم لم تقدموا بأهم مشروعاتها لما لها اليوم من الأهمية
القصورى من الناحية الاجتماعية . فـمشروعات البناء تزداد فى إيران وإذا لم نخطط
فقد نلث تراثنا التاريخى بكل الآثار والمدن القديمة التى تعبر عن روح إيران .
لذلك يجب أن نحتفظ بـراثنا مع مراعاة التكيف مع الاحتياجات
الحالية . فحتى وقت قريب لم تكن هناك خطط للتنعيم وتنظيم المدن . ومهمتنا
هى تفهم الجماهير بضرورة تخطيط مدينة مثل أصفهان مثلاً تنمو بسرعة مـضرة
دون أن يكون ذلك على أنقاض معالمها الجميلة التى أعطتها شهرة عالمية .
أهالى القرى يعتقدون أن كل ما ينبئ فى طهران جميل وأن كل ما عندهم

قبيح ، ولكننا نعيش في بلد يختلف مناخه من منطقة لأخرى مما يستلزم أنماطاً مختلفة من الهندسة المعمارية . ويحاول بعض أحياناً بسذاجة واضحة تقليد طهران ، فيشيد منزلاً حديثاً في قلب الصحراء حيث يبدو بشعاً منفراً فضلاً عن عدم ملاءمته للظروف المناخية لأن الزجاج سيكون فريسة للهواء والحرارة . لهذا يعيش بعض الأهالي جزءاً كبيراً من الصيف في بدروم منازلهم حيث يضمنون مناخاً لطيفاً وأكثر طراوة ، فنحن نحاول حل المعادلة الآتية : الجمال + الراحة . ثم هناك اللجنة العليا للأبحاث المختلفة مثل الشؤون الاجتماعية والرعاية الطبية والسياحة والتعليم . وهناك أيضاً مؤسسة الأبحاث الزراعية وشؤون الزارعين وأهميتها ترجع إلى وجود تفاوت كبير بين مستوى معيشة المدينة والقرية . وتحاول تطبيق أفضل الوسائل التي طبقها غيرنا .

وإذا تحدثت عن المنظمات التي أُرأسها والتي أكرس لها نشاطي في مجال التعليم والصحة والثقافة والشؤون الاجتماعية فسأحتاج إلى مجلد آخر ، وهي مؤسسة رفاهية العائلات وحضانات أطفال العاملات ، ومدارس محو أمية السيدات والفتيات وتنظيم الأسرة ومنظمة نقل الدم ، ومؤسسة مرضى الجذام ، ومنظمة مكافحة السرطان ومنظمة مساعدة المحروقين . ومنظمة الصحة ، والمركز الاستشفائي للأطفال ، ومركز التنمية العقلية للأطفال الذي أنشأته ، والمعهد الإمبراطوري للفلسفة ، ومؤسسة الثقافة الإيرانية ومهرجان شيراز ومهرجان طهران . ومنظمة الفولكلور الإيراني والمؤسسة الآسيوية ، ومؤسسة الحوار بين الحضارات . وجامعة بهلوي . وأكاديمية العلوم .

وتحدث هنا عن التي تستهويني شخصياً أو التي لها أهمية خاصة - مؤسسة فرح بهلوي عبارة عن مركز للأيتام ، فكرت أولاً في توفير المسكن والطعام لهم ولكنني بسرعة أصبحت مشغولة عن آلاف الأطفال وعددهم ثمانية آلاف في

إيران وكان لابد أن نعلمهم بطريقة خاصة محاولين إضفاء الهجة والسعادة على المكان الذي يعيشون فيه لإبعادهم عن صور اليتم التعس مثل : الاهتمام بملابسهم وعدم قص شعورهم على نمط واحد ومحاولة الاحتفاظ بشخصية مميزة لكل منهم وعدم تكديسهم في الحجرات مع الاهتمام بتزيينها . واهتمت شخصياً بانتقاء أسماء جميلة لهم . واخترت وضع أسماء الزهور على باب كل حجرة وعلى كل سرير بدلا من الأرقام - وأنا شخصياً أعتبر الأمومة والطفولة أمراً أساسياً لبناء الوطن .

ومؤسسة الأمومة والطفولة تحوى دراسات حول الأم وغذائها ، وتطبق تنظيم الأسرة وتمتلك مستشفيات كبيرة ونوزخ اللبن والبسكويت على الأطفال الذين يسكنون المناطق النائية . كما تتولى رعاية الأطفال المعوقين الذين لهم في طهران مدارس خاصة . وأعتقد أنه تطور هام لأن بعضاً كان يتساءل : « لماذا نتفق النقاد على مثل هؤلاء الأطفال . . وهم استثمار سلبى ؟ وأعتقد أنهم محطون من الناحية الإنسانية والاقتصادية أيضاً . لأن بعضهم مع قليل من الرعاية يصبحون منتجين مما يساعد عائلاتهم بصورة غير مباشرة .

وفي المجال الصحى هناك مؤسسة فريدة وهى التى تهتم بمرضى الجذام ، فحتى أعوام قليلة كان مرض الجذام منتشراً في إيران وهو من أشنع الأمراض لأن المريض لايعانى من الآلام المبرحة فقط ولكن يواجه الخوف ممن حوله . وعند بداية إنشائها منذ أربعة عشر عاماً لم يكن أحد يقبل رعايتهم ، فكان يرعاهم بعض الرهبان المسيحيين في ظروف رهيبة تشابه ما كان يحدث في العصور الوسطى . وأمضيت لىالى طويلة أفكر في كيفية التخفيف عنهم ، وتأثر في كل زيارة لمدة أسابيع . والمشهد المؤلم الذى لا أنساه كان يوم أحضرت للأطفال بعض الشطائر ، فأخذتها منى إحدى المرافقات وقذفها لهم على

الأرض . وساء في مقدار النذل والمهانة التي يواجهها مريض حكمت عليه الظروف أن يخافه الجميع . لهذا كنت أتعهد الذهاب بنفسى لأثبت لمن حول أنى أهم بهم شخصياً . وأن الخوف التقليدي من العدوى أمر مبالغ فيه . فكنت أقترب منهم وأحادثهم . بعضهم كان ينصف وجهه أو يدون يدين أو قدمين . فكنت أضغط بخراطة على من بقيت له يد وكانت النساء يتحسسن وجهي أو يقبلنني كما لو كنت أنا الدواء . مأساتهم المفجعة هزتني بعنف فوضعت كل الإمكانيات الممكنة تحت تصرف مؤسسة رعاية مرضى الجذام . التي تعد من أكثر المؤسسات تقدماً في العالم فيما يتعلق بمرض الجذام ووسائل اكتشافه . ولسوء الطالع أنه مرض غادر ينمو بتمهل ولا يخس به إلا بعد أن يتمكن من المريض .

ومازال هناك حوالي ألفي مريض في المركزين وحوالي ١٠ آلاف حالة معروفة في إيران . وربما بضعة آلاف لم تكتشف بعد .

وقد وهب لنا الملك قطعة أرض بنينا فيها قرية لمرضى الجذام . والنتيجة مذهلة فهي قرية مثل غيرها بمبانيها وحواريها حيث يعيش ويزرع ويعمل الجميع متعاونين وأحياناً يأتيهم بعض سكان المناطق الأخرى لزيارتهم . وهكذا لم نلق بهم للمجتمع ، ولكن المجتمع جاء إليهم بعد أن زال الخوف .

وأحد المحركات الأكثر فاعلية في التقدم في مجال الصحة يكمن في مبادئ ميثاق الثورة وأعني به « جيش الصحة » .

ويتكون من شباب تخرجوا في كليات الطب واختاروا بدلاً من التجنيد في الجيش العمل لمدة سنتين في القرى التي ليس بها أطباء . وكان من الصعب جلب الطبيب من المدينة حيث رغد العيش وسهولة الحياة ليعمل في منطقة متخلفة . لهذا فكر الملك في برنامج « الأطباء الخفاه » وهم شباب لا يمارسون

التخصص الطبي : ولكنهم يذهبون إلى القرى المترامية في قلب الصحراء ليعالوا الأهالي مبادئ الصحة مثل علاج الصداع والبرد والإسهال والولادة الطبيعية والإسعافات الأولية للحالات الخطيرة قبل نقل المريض لأقرب مستشفى . ومن الناحية التطبيقية تعد كسباً كبيراً . لأن هؤلاء الرواد بوسائلهم البسيطة استطاعوا خفض نسبة الوفيات ونشر المبادئ البسيطة للصحة في أكثر الأماكن تخلفاً وحرماناً .

وفي مجال التعليم أنشأ الملك على النمط نفسه جيش المعرفة ، الذي يعلم أبسط قواعد القراءة والكتابة . واستطاع الشباب من حاملي البكالوريا خفض نسبة الأمية في قرانا الصغيرة النائية . فشكلة التعليم هي ألف باء التقدم . هذا تستحوذ على جانب كبير من نشاطي . وأكثرها تأثيراً هي مؤسسة التنمية الثقافية والعقلية للأطفال والمراهقين وتديرها واحدة من أحب صديقاتي إلى قلبي وقد درست المكتبات في أمريكا .

أما مؤسسة فرح بهلوي فتديرها أيضاً صديقتي المفضلة الثانية . وأنا سعيدة لقربها مني ولثقتي الكاملة فيها فكل منها تعطي أفضل ما عندها كمديرة وكصديقة .

وتعمل المؤسسة الأولى بنشاط مضاعف . ومن الصغر فحتى وقت قريب لم تكن مكتبات في إيران . قليل جداً من أدب الأطفال والحكايات القديمة . فبدأنا ترجمة الأغاني الكلاسيكية العالمية للأطفال وترجست أنا شخصياً بعضها على طريقة والت ديزني . ونشرت «جنبة البحر الصغيرة» لأندرسون . وأصبح الكتاب مع الأسطوانة المصاحبة له أول مؤلف إيراني مطبوع للأطفال الإيرانيين . ثم بدأنا في محاولة اجتذاب الكتاب والرسامين الإيرانيين لأدب يجهلونه تماماً .

وبالرغم من أهمية القراءة فالإيرانيون ليسوا شعباً يهوى القراءة لهذا بدأنا في إعادة غرس القراءة في السن الصغيرة وأرسلنا في البداية مجموعة من الكتب إلى مدرسة في جنوبي طهران لمعرفة رد الفعل . فرمى الصغار العربية بالطوب . ولكن شيئاً فشيئاً تغيرت الأمور وبنينا مائة مكتبة في المدن وأكثر من ألف في القرى وابتكرنا المكتبات الجائلة للقبائل البدوية . ووصنت الكتب لأقاصي الصحراء على ظهور الحمير والبغال والجمال .

واهتمامنا بمبادئ التعليم لايعنى أننا نهمل القمة . فؤسسة الفلسفة التي أرساها طموحها لاحد له . وتنطلق من جملة واحدة : « ماذا أعطت الحضارة الإيرانية العالم ؟ وماذا تستطيع تقديمه ؟ » .

الإجابة على السؤال الأول تؤكد أن العالم لم يكن ليصبح كما هو بدون مشاركتنا ! فأجدادنا هم أول من اخترع الكتابة وروض الخيل . كما أعطت إيران أول رواد الطب والحساب وعلم الفلك الحديث وأثر عدد من فلاسفتنا الكبار وشعرائنا العظام في أجيال من مفكرى وكتاب الغرب . فقد قال مالرو : العالم يدين بالكثير لتاريخ إيران . ولكن نسيه كثير من الأوروبيين تحت تأثير الحضارة اليونانية والرومانية .

والهدف الأول لهذه المؤسسة هو إحياء الأعمال القديمة والثقافة الإيرانية العريقة التي ترجع لآلاف السنين ولتعريف العالم بها . والمستقبل ؟

العالم يبحث اليوم عن طريق جديد ، ووسائل جديدة ومعنى جديد للحياة : فالتصنيع والتقدم المادى الذى قدمته الرأسمالية والاشتراكية لم يعد يكتفى ، فكيف نحافظ على القيم الإنسانية والروحية مع الاحتفاظ بغطى التقدم ؟ هنا لإيران كلمة : فهي أرض محورية تلتقى فيها التقاليد القديمة لتاريخ عريق

ومصادر القوة الحديثة التي تتمثل في امتلاك أهم الموارد الطبيعية . فمعدل التقدم في إيران يعد من أعلى معدلات التقدم في العالم مما يسمح لها بالانطلاق للبحث عن الطريق الجديد الذي تنو إليه كثير من الدول . والمهم هو الانسجام بين التقدم وما أسخيته «إيرانيتنا» .

وحول هذه الرغبة الجارفة في المحافظة على ثقافتنا وإثرائها عن طريق الاتصال بالآخرين جاء الوليد المدلل لحيي الكبير للفن ممثلاً في مهرجان شيراز الذي يمثل الالتقاء بين الشرق والغرب حيث . يعرض فيه أحدث وأقدم الاستعراضات وأمتعها وأكثرها غرابة وجرأة . وأصبح ذا شهرة عالمية . ولكنني قابلت صعوبات عديدة منذ اثني عشر عاماً عند بدء إنشائه . ويوم افتتاح المهرجان ارتديت فستاناً طويلاً ووضعت التاج على رأسي ، ولكنني بعد أن تأثرت بروح البساطة والتفانية في المهرجان أصبحت أحياناً أذهب بملابس الهيبز .

والفن مثل الخبز أحد دعائم الحياة الإنسانية . ومؤسسة فرح بهاوى التي أنشأتها حديثاً تهتم بتحريك أهمية الفن في حياتنا فقد كان لابد من وجود مؤسسة تهب نفسها جسداً وروحاً للثقافة فنو استمر بنا الانطلاق نحو التقدم بهذه الصورة فسوف نصبح من الأمم الصناعية التي لا ينكر أخطاءها إلا الأعمى حيث ينتشر التلوث وتنفق العائلات وينسى الناس التفكير في الروح ليصيروا إما أنانيين أو ماديين . هذا التخطيط وهذه المادية لاتعرفها الدول النامية . فكلمنا زاد الفقر زاد ترابط الناس في مجتمعات - فكيف نحتفظ بروح الأخوة في أمة تسعى للعصرية ؟ - كيف نتجنب أخطاء أُمم سبقتنا على طريق التصنيع ؟ كيف نلقى بالبدوي الهادئ الشامخ السبل القنوع لغول المدنية القاتل :

ليعيش كما لو كان يعيش فقط لشراء منزل من الأسمت أو سيارة أو ثلاجة أو تليفزيون أو نخت خاص ؟ فهل يرضى بهذا المستوى من المعيشة ؟ أعتقد لا . فيجب إذن بناء مجتمع جديد يحتفظ بكل الخصال المتميزة لإنسان الصحراء .